

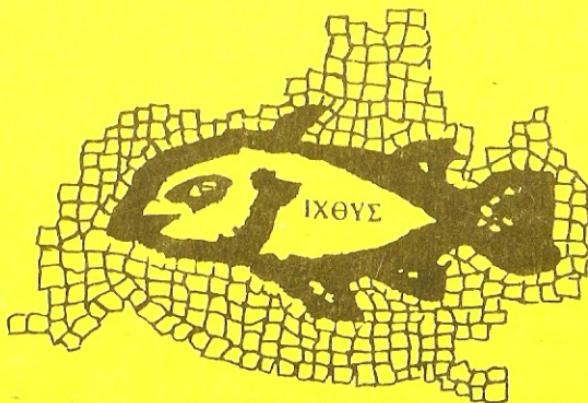
اليوبيل الماسي  
للكنيسة الأرثوذكسية



سلسلة  
آباء الكنائس

# العلامة يوسابيوس

القديس رج



ΙΗΣΟΥΣ ΧΡΙΣΤΟΣ ΘΗΟΥ ΥΙΟΣ ΣΩΤΗΡ

أبو التاريخ الكنسي



علم الباترولوجى  
سلسلة آباء الكنيسة

# العلامة يوسبايوس

EUSEBIUS  
OF CAESAREA

ترجمة وإعداد

أنطون فهمي جورج

## مقدمة

اهتم النهج الآبائى بالتاريخ الكنسى بنفس القدر الذى إنشغل فيه بالأبدية وحياة الدهر الآتى ، وسر إهتمام الآباء بالتاريخ يكشف عن المفاهيم الروحية والإيمانية وشهادة الكنسية لل المسيح عريتها عبر كل الأجيال والمحقب .

شهادتها أمام الوثنية ، وأمام البدع والهرطقات ، وأمام الإضطهاد ، إنه عمل الله الذى إقتناها له بالدم الكريم الذى لسيحه .

يعتبر العلامة يوسابيوس القيصري أباً لعلم الباترولوجى ومؤسسًا لفكرة نشر أقوال الآباء وكتاباتهم ، فقدم وثيقة تاريخية هامة صارت ويحق أهم مرجع لعلم الآباء ، وتاريخ يوسابيوس الكنسى يعد أول عمل تاريخي تأسست عليه مدرسة المؤرخين الكنسيين فى العالم كله ، فأصبح مصدرًا حيًّا يرجع إليه المؤرخون ، ليقفوا على أعماق التاريخ ومفاهيمه .



الآباء شنودة الثالث

البشر الذى احبنا وفداانا ، لتكون سبب بركة ونور روحي لكل من يقرأها .

ذاكراً محبة وصلوات وتشجيع ابى ومعلمى نيافة الخبر الجليل الانبا بنiamين النائب البابوى ، وتعب الآباء الذين تعبوا ودخلنا نحن على تعبيهم ، وبذل الاخوة الذين ساهموا فى صدور هذا العمل .. لتشملنا مراحם الرب الهنا من دور والى دور ، بصلوات جزيل البركة والغبطية بابانا الحبيب البابا شنودة الثالث بابا الاسكندرية ويطيرك الكرازة المرقسية الـ ١١٧ ،  
ولرينا المجد دائمًا أبدیاً آمين ،

الصوم الأربعينى الكبير

١٩٩٢

١٧٠٨ ش



٥

وبالرغم من مكانة يوسابيوس المؤرخ الكنسى ، إلا أن له أخطائه ، فمع انه لم يكن أريوسياً بالمعنى اللاهوتى الكامل ، لكنه أعطى لنفسه حرية الحركة بالفکر والكلمة والتصرف وسط الأriوسيين مملاة لهم ولإمبراطور قسطنطين ، ولم يخل فكره وعمله من الأriosity .. ويحسب الإصطلاحات المتعارف عليها ، يعتبر العلامة يوسابيوس نصف أريوسى ، لذلك إعتبرته الكنيسة فيما بعد "ذا وجهين" (سقراط ١ : ٢٣) ، بالرغم من أنها لم تتنكر لكتاباته التاريخية بسبب الحقائق التاريخية الثمينة التي فيها ، لا بسبب المفهوم الذى تحمله ، معتمدة على وعى أبنائها وحسم اللاهوتى الأرثوذكسي فى أمر إكتشافه وتجاوزه ، اذ ان علم الباترولوجى يعطى إهتماماً لكل الكتابات الأبائية حتى الكتابات المنحرفة ، لكي تفهم الظروف التى أحاطت بالكنيسة الاولى .

واننى أضع هذه السلسلة الأبائية ΘΥΠ IX التي اعتمدت فيها على مجموعة "باترولوجى" Patrology لجونز كواستن Johannes Quasten

الكتاب المقدس ولكن على أساس نص أوريجانوس المسمى «الهكسابلا - السادس» وتفاسيره على العهدين القديم والجديد .

ولاقام هذه المهمة احتاج إلى معاونين ومساعدين ، فتقدم يوسابيوس ليكون عضواً عاملاً في هذه الجماعة الدراسية ، وبدأ يساعد بامفيليوس الذي شجعه وعلمه كيف يعتمد على نفسه وعلى ذهنه وزوده بنصائحه ، ودان يوسابيوس لعلمه بامفيليوس بالفضل الكبير في تعليمه وتدربيه الفكري ، وتعبيرًا عن شكره ومحبته لاستاذه قرن اسمه باسمه فدعى نفسه "يوسابيوس بامفيليوس" أي أنه الابن الروحي لبامفيليوس .

وهكذا دخل يوسابيوس في تاريخ آباء الكنيسة باسم "يوسابيوس بامفيليوس" وما زال يوجد مخطوط قديم من نسخة الكتاب المقدس التي أعدها بامفيليوس ويوسابيوس معاً .

واستلم يوسابيوس عن معلمه تكريماً

## العلامة يوسابيوس القيصري

### EUSEBIUS OF CAESAREA

يبدأ العصر الذهبي للأدب الآبائى بكتابات باهرة لأبى التاريخ الكنسى يوسابيوس بامفيليوس *Eusebius Pamphilius* اسقف قيصرية فلسطين ، وهو مؤرخ ومجادل فى نفس الوقت ، وشخصية هامة فى تاريخ الاربوصية فى أيامه ، وواحد من اخر المدافعين ، ويقدم لنا صورة عن التغيرات الجذرية التى حدثت فى أيامه فى تاريخ العالم بأمانة كاملة أكثر من أي مؤرخ آخر .

ولم تكن قيصرية فلسطين مكان تعليمه ونشاطه الأدبي وكرسيه الاستقى فقط ، بل وأيضاً مدينة ميلاده سنة ٢٦٣ م ، وقد صارت هذه المدينة مركزاً للعلم والمعرفة منذ أن رحل أوريجانوس إليها وأنشأ مدرسته الشهيرة هناك ، وقد شكلت مؤلفات أوريجانوس أساس المكتبة التى طورها بامفيليوس كاهن كنيسة قيصرية ، وقد تحمس بامفيليوس لاصدار نص معتمد من

الطرفين ، بدون أن يدرك الأهمية الحقيقة للعقيدة موضع النقاش ، وكتب عدة رسائل يؤيد فيها آريوس ، وكان له دوره المؤثر جداً في مجمع قيصرية المكانى الذى اعلن ارثوذكسيه فكر وعقيدة آريوس رغم أنه طلب منه الخضوع لأسقفه ، وبعد ذلك بقليل عُقد مجمع مكانى فى انطاكية سنة ٣٢٥ حرم أسقف قيصرية لرفضه للصيغة الایمانية المعارضه للتعليم الآريوسي المنحرف ، وفى مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م أراد أن يكون واسطة مصالحة ، ورفض عقيدة «الهومواوسيوس - *Homoousios* - مساواة الاب والابن فى الجوهر» التى لأنثانسيوس لأنها ظن أنها تؤدى الى السابليانية *Sabellianism* ، وأخيراً وقع على قانون الایمان النيقاوى ك مجرد ارضاء خارجى لرغبة الامبراطور ، لكن بدون أى اقتناع حقيقي داخلى ، ولم يستخدم قط فى كتاباته بعد سنة ٣٢٥ التعبير «هومواوسيوس» ، بل أيد صراحة يوسابيوس أسقف نيقوميدية وقام بدور بارز فى مجمع انطاكية المكانى سنة ٣٣٠ ، الذى خلع الاسقف يوستاثيوس *Eustathius* ، وكان له ايضا دور هام فى مجمع صور سنة ٣٣٥ الذى حرم القديس أنثانسيوس الرسولى ، ويجانب ذلك كتب كتابين

عميقاً ، وانشغل بتراثه الأدبى حتى يزيد من شهرة هذا العالمة السكندرى ، وبدأ فى إصدار مجموعة مراسلاته ، الأمر الذى ساعد على عدم ضياع هذا التراث أو تشتته .

وفى الااضطهاد الأخير نال بامفيليوس اكليل الشهادة ، فى العام السابع من اضطهاد دقلديانوس فى السادس من فبراير سنة ٣١٠ م ، وكتب يوسابيوس سيرته تكريماً لذكراه واعترافاً بمحبته له ، ويوسابيوس نفسه هرب الى صور ومنها الى برية مصر فى *Thebais* ، ولكن قُبض عليه هناك وسُجن .

ويبدو أن العام الذى انتهت فيه الااضطهادات ضد الكنيسة {سنة ٣١٣ م} هو نفس عام تجليس يوسابيوس أسقفاً لقيصرية ، وقد صارت له صدقة متينة مع قسطنطين الملك وكان ذا تأثير عليه ، وبدأت شهرته كعالِم تطفى على شهرة معلمه منذ ذلك التاريخ .

وقد دخل يوسابيوس - كأسقف - فى المجال الآريوسي ، الذى اعتقاد أنه يستطيع أن ينهيه باقتراحات بتنازلات متبادلة من كلا

ضد مارسييللوس أسقف أنقرة الذي خلع من كرسيه بعد ذلك  
عام .

وكان إعجاب ومحبة يوسابيوس للإمبراطور ، الذي أرسى  
السلام بين الكنيسة والإمبراطورية بعد سنوات من الاضطهادات  
الدموية ، كبيراً جداً ، وتمتع يوسابيوس نفسه بمكانة خاصة لدى  
قسطنطين ، وفي التذكاري العشرين والثلاثين لتنصيب  
الإمبراطور وتقليله الحكم ، ألقى يوسابيوس كلمات مدح  
لإمبراطور ، وعندما تُنفيق قسطنطين في ٢٢ مايو سنة ٣٣٧ ،  
قدم يوسابيوس كلمة تأبين طويلة له ، إذ يبدو أنه كان مستشاره  
اللاهوتي الأكبر ، وقد مات يوسابيوس بعد إمبراطوره بأعوام  
قلائل في سنة ٣٣٩ أو سنة ٣٤٠ م.

## الملامح اللاهوتية والروحية في فكر العلامة يوسابيوس

تكلم العلامة يوسابيوس عن التقدم إلى ما هو قدام في الحياة  
الروحية ، فرسم منهاج للسير بلا عيب في الطريق الروحي وعدم  
الرجوع إلى الوراء وعدم الميل لا يمين ولا يسار ولا نظر للوراء من  
أجل بلوغ الهدف ، ويقول : طالما أن القلب لا يزال بعد غير كامل  
فهذا هم كبير وتعب كثير بل إنه قد يتربى إلى أسوأ مما هو  
عليه ، أما حينما يصل إلى قمة الكمال فحينئذ يكون قد تأسس  
في الفضيلة وتحرر من كل خوف ، يطلب من الله أن يوضح له  
ولا يخفى عنه وصاياه حتى يكملها إلى المنتهى متفهمًا لها حتى  
يعبر هذا العالم وهو بلا لوم .

ويتحدث يوسابيوس عن الحرب الروحية والقوات المضادة التي  
تحارب النفس في تفسيره للمزمور ١١٨ ، فيقول : الله يصد عنا  
المضادات ويتولى قضاء الأعداء غير المنظورة بنفسه من أجل



حياة الطهارة من أجل التأمل في الأمور العلوية (الإلهيات)  
فعدم الطهارة هو عدم التقوى وظلمة الجهل ، أما تقواة الفكر  
من الناحية الأخرى ، فهي التقوى والتقوى تلازمها معاينة الله .

ويرى يوسابيوس أن تجسد الله اللوغوس هو استعلان السر  
الذى تدور حوله نبوات العهد القديم : «اللوغوس المتجسد هو  
وحده الذى اعطانا نعمة معرفة الثالوث بميادنه السرى لأنه لا  
موسى ولا أى من الانبياء وُهب خدمة هذه النعمة لشعب الله فى  
العهد القديم ، لأنه فى ابن الله اللوغوس فقط أعلنت نعمة الآب  
للكل ، لأن الناموس بوسى أعطى أما النعمة والحق فليسوع  
المسيح صارا» .

ويقارن يوسابيوس بين مسحاء العهد القديم من كهنة وملوك  
وأنبياء وبين السيد المسيح نفسه موضحاً أن ما ناله رجال العهد  
القديم كان رمزاً ، فكانوا عاجزين عن أن يقيموا من أتباعهم  
مسحاء ، أما السيد المسيح فهو وحده الذى دعى أتباعه  
مسيحيين لأنهم صاروا فيه مسحاء .

محبته للبشر ، إذ قد تبني قضيتهم لأنها قضيته .

وفي تأكيد على الإرادة المتجهة نحو الله يبحث العلامة  
يوسابيوس على المواظبة على الاجتهد والمثابرة ، لأن النفس  
التي تخبط تذبل منجذبة في غفلة المخطية ، ولن تقوم ولن  
 تستيقظ إلا بتذكر الخير وإدانتها لنفسها واعترافها بخطاياها  
 السابقة وتعلم الوصايا والثبات فيها ..

وهو بذلك يرسم معالم الطريق الروحي والحياة الداخلية  
 بالشراكة مع الله ، ثم يذكر ملمح هام عن المكافأة والجعلة التي  
 يحظى بها المجاهدون ، عندما يتكلم عن نهاية العالم الزائلة  
 وهيئته ليتبعه عالم جديد ، وعرض الكواكب المنظورة يضيئ  
 المسيح نفسه لأنه شمس الخلقة الجديدة وملكها ، عظيمة هي  
 قوة هذه الشمس الجديدة ، وعظيم هو بهاؤها ، حتى أن الشمس  
 التي تضئ الان والقمر والكواكب الأخرى تظلم أمام هذا النور  
 الأبدى العظيم .

أما عن الملامح اللاهوتية في فكره ، فيؤكد يوسابيوس على

## كتابات يوسابيوس

فيما عدا العلامة أوريجانوس السكندرى ، فاق يوسابيوس كل الاباء اليونانيين فى المعرفة والعلم ، وقد كان باحثاً ومجاهداً لا يكل ، واستمر يكتب حتى سن متقدم جداً ، وتقديم كتاباته مجموعة ضخمة من المقطفات التى جمعها من الكتابات الوثنية والمسيحية والتى فقد الكثير منها ، ولهذا السبب لم ينذر انتاجه الأدبى بالرغم من اتجاهه الآريوسى ، وتكشف لنا كتاباته عن سعة أفق مدهشة فى التعلم ، ومنها يتضح لنا أنه دارس جيد للكتاب المقدس وللتاريخ الوثنى والمسيحى ، وللأدب القديم ، والفلسفة ، والجغرافيا ، وعلم التفسير ، وعلوم اللغة ، ويصفه فوتينوس بأنه «رجل غزير المعرفة»<sup>(١)</sup> ، وبالرغم من أنه مدافع خصب ، إلا أنه لا ينتمى إلى اللاهوتيين البارزين فى التراث المسيحى ، فشهرته الواسعة إنما ترجع إلى أعماله التاريخية العظيمة .

والكنيسة عند أسقف قيصرية هى وحدها «ملك الطريق الملكى» ، ومن ثم تعطى «معرفة النعمة الإلهية» ، لأن الكنيسة ملك اللاهوت الكامل ، لأن فيها حفظ سر الخلاص ، سر تدبير الله ، لأنها تجمعـت من الأمم ، ووهب لها هذا السر بفضل نعمة فائقة مختارة ، لأن فيها - كما يقول الرسول - كل كنزـ الحكمة والمعرفة ، ويقول يوسابيوس :

«استعلن سر الخلاص لكنيسة المسيح فقط بنعمته»  
ومن المسيح الطريق الحق تتسلم الكنيسة معرفتها لسر الثالوث القدس السرى المبارك ، وتحفظه كرجائـها الذى لا يخزى .

ولنور فى لاهوت وفكر يوسابيوس مكانة خاصة ، والنور الذى أشار إليه القديس يوحنا اللاهوتى فى بداية انجيله أو النور الذى يضئ فى الظلمة ، هو نور اللوغوس الذى بقدرته خلق النـوس العاقلة الناطقة ، وهو الذى ينير كل انسان آتـا إلى العالم ، وهو النور الذى لا يُدنى منه والذى لم يره أحد قـط .

وشرح أبو التاريخ الكنسى أن حق الثالوث قد استعلن بتجسد اللوغوس ، ومنذ ذلك الحين ظل فى الكنيسة يقودها وينـحـها الموهـبـ المتـعدـدة ، موهـبـ الروحـ والـحكـمةـ والمـعـرـفـةـ والإـيـانـ والـمحـبةـ .

تاریخ المصريين اعتماداً على دیودورس ومانثو  
*Mantho*  
. *Porphyry*

تاریخ اليونانيين اعتماداً على کاستور وبورفيرى ودیودورس .

تاریخ الرومان اعتماداً على دیودورس وکاستور  
• *Dionysius of Halicarnassus*

### القسم الثاني:

عبارة عن جداول تاریخية *Xρονικοί*, *Kάvovες* مرتبة وفقاً لتوافق الاحداث وتزامنها معأ *Synchronisation* ومعها ملاحظات عن اهم احداث تاریخ العالم بصفة عامة والتاریخ المقدس بصفة خاصة ، واتخذ يوسابيوس من تاریخ ميلاد ابراهيم أبو الآباء {سنة ٢٠١٦-٢٠١٥ ق.م} نقطة بدايته ،

ثم قسم التاریخ الى خمس حقب :  
١) من ابراهيم الى اخذ *Troy* .

٢) من اخذ *Troy* الى الاوليمبياد *Olympiad* الأول .

٣) من الاوليمبياد الأول الى العام الثاني من حكم داريوس .

## ١ - الاعمال التاریخية

### ١- التاریخ *The Chronicle*

من بين اعماله الأولى ، عمله الذي يُسمى دوماً «التاریخ» ، وقد كُتب حوالي ٣٠٣ م ويكون من قسمين :  
القسم الأول

وهو في الواقع مقدمة يسرد فيها أهم الأحداث التاریخية في كل أمة :

تاریخ الكلدانين اعتماداً على مقتطفات واستشهادات من الكسندر بوليهستور *Alexander Polyhistor* ويوسيفوس *Abydenos* وأبیدينوس *Josephus*

تاریخ الآشوريين اعتماداً على کاستور *Castor* وأبیدينوس *Cephalion* وديودورس *Diodorus* وسيفاليون .

تاریخ العبرانيين اعتماداً على العهد القديم ويوسيفوس وكلمنسس السكندرى .

بكتاب أفضل واقدم تقريراً في كل أجزاء عمله ، بل وأيضاً بسبب رؤيته النقدية التي قيّز بها .

ويتحديده تاريخ الأحداث الكتابية ، سعى العلامة القيصري ليثبت أن نظام أفريقانوس كان خاطئاً وغير علمي ، وقد رفض يوسابيوس ان يبدأ عمله منذ آدم والسقوط ، إذ أنه لا أحد يعرف مدى الفترة التي عاشها آدم في الفردوس ، وأيضاً لا يستطيع أن يتبع تاريخ الكتاب المقدس إلا منذ إبراهيم ، وهنا يمكننا أن نرى مدى براعة يوسابيوس في نقد النص .

#### المصادر التي اعتمد عليها يوسابيوس

١- المكتبة العامة بروما  
يتكلم يوسابيوس عن المكتبة العامة في روما حيث يمكن لأى رائد للمكتبة أن يجد كتاب فيلو عن الفضائل<sup>(٣)</sup> وكتابات يوسابيوس المؤرخ اليهودي .<sup>(٤)</sup>

٤) من العام الثاني لحكم داريوس إلى موت المسيح .

٥) من موت المسيح حتى عام ٣٠٣ م .

أى أنه يتبع تاريخ الكتاب المقدس إلى صلب المسيح حتى سنة ٣٠٣ م ، بالمقارنة مع تاريخ العالم السياسية .

وكان هدف يوسابيوس من عمله هذا أن يثبت أن الديانة اليهودية ، والتي تعتبر المسيحية الامتداد الشرعي لها ، هي أقدم من أية ديانة أخرى ، بيد أن هذه الفكرة لم تكن جديدة ، ففي القرن الثاني ، حاول الكثير من المدافعين المسيحيين أن يظهروا قدم موسى وشريعته ، ثم في أوائل القرن الثالث كتب يوليوس أفريقانوس<sup>(٢)</sup> كتابه "التاريخ Julius Africanus" الذي قسمه أيضاً إلى خمس حقب زمنية ، وكان عمله هذا أول تاريخ يُكتب بحسب توافق وتزامن الأحداث Synchronistic history ، ولاشك أن يوسابيوس ألف كتابه معتمدًا على هذا النموذج بل وعلى كثير من المادة التاريخية فيه بالرغم من أنه لم يذكر ذلك ، ولكن عمل يوسابيوس يعد أفضل بكثير من عمل يوليوس أفريقانوس ، ليس فقط لأنه يستعين

الشهداء الاول<sup>(٨)</sup> بالإضافة الى مجموعات ومجلدات أخرى ، وكانت معرفته بفيلا مستمدة في الغالب من هذه المكتبة .

وقد فقد النص اليوناني الأصلي لهذا العمل "التاريخ" عدا بعض الشذرات والمقطففات ، لكنه حُفظ كله في ترجمة أرمنية من القرن السادس ، وهناك ترجمة لاتينية للقسم الثاني قام بها چيروم سنة ٣٨٠ في القسطنطينية ، وقد أضاف چيروم لهذا العمل عدداً كبيراً من الفصول عن التاريخ الروماني خاصه ، وأضاف أيضاً تاريخ للفترة ما بين كتابة العمل وحتى أيامه هو ، أي ما بين عام ٣٢٥ وعام ٣٧٨ أي تاريخ وفاة فالنس Valens وفي هذا الشكل الذي قدمه چيروم ، وصل كتاب "التاريخ" الغرب وكان له تأثيره على مؤرخي القرون الوسطى ، فهو أحد المصادر الأساسية التي يعتمد عليها أي باحث في تاريخ البشرية .

#### ٢- *التاريخ الكنسي* (+) *The Ecclesiastical History*

ان العمل الذي أعطى ليوسابيوس شهرته الخالدة هو "التاريخ الكنسي" Εκκλησιαστική Ἰστορία والذى يتكون من

(+) ترجمه الى العربية العلامة المتنيع القمص مرقس داود .

٢- **مكتبة كنيسة أورشليم** (جهاز البابا فيينا وفقار رفعت بالش)  
وقد اسس هذه المكتبة الكسندر أسقف أورشليم ٢١٢ (٩) - ٤٥ ) تلميذ بنتينوس وكلمندس السكندري ، وصديق أوريجين .

وقد استخدم يوسابيوس هذه المكتبة بنفسه واثبت بعض الكتابات المسيحية التي وجدها فيها وهي : كتاب بيريللوس أسقف بوسطرة بلاد العرب ، وهيبوليتوس وفايس أسقف روما . (١٠)

٣- **مكتبة قيصرية**  
وهي مدینته إلى ولد فيها وأقيم أسقفاً عليها (١١) ، وكان يقوم بتشغيل كتبة لينسخوا مستخرجات من هذه المكتبة التي اسسها أوريجين وبامفيليوس ، وكانت تحوى مجموعة كبيرة من كتابات العصور المسيحية المبكرة بقدر الامكان .

وقد جمع يوسابيوس أكثر من مئة رسالة لاوريجانوس (١٢) ، وقام بتجميع مجموعة من الكتابات الخاصة بقصص استشهاد

برنابا ، كما كان على علم برسالة بيلاطس (٢:٢) ورسائل بليني وترajan ، والكتاب الثالث فقط من دفاع تريليان .

كذلك اعتمد يوسابيوس على مجلد كامل كان في مكتبة قيصرية يحوى سير الشهداء : بوليكاريروس ، بيونيوس ، كاريروس ، بابيليوس ، وأغاثونيس ، وقد أضاف يوسابيوس لهذا المجلد سيرة شهداء الغال .

كما استعان ابو التاريخ الكنسى بمجموعات كبيرة كانت موجودة فعلاً في عصره ، وكانت هذه المجموعات تضم كتابات يوستينوس المدافع الشهيد (٤ : ١٨) وديونيسيوس الكورنثى (٤ : ٢٣) وثيفيليس الانطاكي (٤ : ٢٤) وميليتو اسقف ساردس (٤ : ٢٦) وابوليناريوس من هيرابولي (٤ : ٢٧) وتاتيان المدافع (٤ : ٢٩) وبارديسان (٤ : ٣٠) ويسجل يوسابيوس اعمال كل هؤلاء ويؤكد على كتابات يوستينوس بالذات لكي «يبحث العلماء على الانتباه الجاد لهذه الكتابات» (٤ : ٨، ١٠) .

عشرة كتب تغطي الفترة من تأسيس الكنسية وحتى هزيمة ليسيينيوس سنة ٣٢٤ وإنفراد قسطنطين بالحكم ، ولم يقصد يوسابيوس بهذا الكتاب أن يسجل تاريخ الكنسية منذ تأسيسها وحتى يومه ، ولا يسعى ليقدم وصفاً كاملاً لانتشار المسيحية وفوها ، بل يقدم مجموعة غنية جداً من الحقائق والوثائق التاريخية ، ومن مقتطفات من عدد كبير من الكتابات التي تعود الى السنوات الاولى للمسيحية ، فعمل يوسابيوس هو تاريخ الكتابات المسيحية المبكرة أكثر من كونه تاريخياً للاعمال والافكار المسيحية الاولى ، ونجد فيه مراجع لكتابات حوالي ٣٥ مؤلفاً مسيحياً بالإضافة الى قوائم بكتابات فيلو (٢ : ٨) ويوسيفوس (٣ : ٩) .

وقد استخدم يوسابيوس ما اعتبره معتمداً من وثائق الكنسية الاولى مثل بعض كتابات الآباء الرسوليين : رسالة كلممنتس الاولى ، سبع رسائل للقديس اغناطيوس ، رسالة للقديس بوليكاريروس ، الراعى لهرماس ، تفسير المقولات الالهية لبابياس ، ولكنه لم يكن على دراية بكتاب الديداخية أو برسالة

وهكذا يتضح لنا الهدف الدفاعي للعمل كله : أن يقدم الدليل على أن الله هو الذي اسس وارشد وقاد الكنيسة الى هذا الانتصار النهائى الاخير على قوة الدولة الوثنية .

وعندما يصل يوسابيوس فى تأريخه الى معلمى مدرسة الاسكندرية اللاهوتية ، نجده يقدم معلومات وافية عنهم ، ولا عجب فقد أتى بنفسه الى مصر ومكث فيها فترة ، كما كان مؤقتاً على مكتبة أوريجانوس فى قيصرية ، وهو يعدد أعمال كلينيكتس السكندري (٦١ : ١٣) وأوريجانوس (٦١ : ٢٤-٢٥ ، ٣٢ ، ٣٦) ولديه معرفة بكتابات ديونيسيوس السكندري إذ يقتبس بعضًا من كتاباته فى الكتابين السادس والسابع .

وبعد كنيسة الاسكندرية ، يعدد ثلاثة رسائل للأسقف الكسندرinos الاورشليمي (٦١ : ١١ ، ١٤) وبعض أعمال هيبوليتس (٦١ : ٢٢) ويوليوس افريقانوس (٦١ : ٣١) .

ولأن حياة يوسابيوس نفسها كانت مليئة بالأحداث التاريخية

بالاضافة الى ذلك ، كان هناك منذ نهاية القرن الثانى وبداية القرن الثالث ، دوسيهات تحوى الكتابات الجدلية ضد المونتانيين (١٩-١٦:٥) واعمال ايريناوس ابو التقليد الكنسى (٢٣:٥) (٢٦-٢٠:٥) والجدال حول ميعاد تعبيد الفصح (٢٧ - ٢٨) واعمال سرابيون الانطاكي (١٢:٦) .

وقد شرح يوسابيوس فى المقدمة المنهج الذى اتبעה فى تقديم مادته :

- ١) قوائم بالسلسل الرسولى للأساقفة .
- ٢) الاحداث الهامة وقادة الكنيسة فى ذلك الوقت .
- ٣) المعلمون والكتاب المسيحيون المشهورون .
- ٤) الهراطقة .
- ٥) الكوارث التى حللت بالامة اليهودية بعد صلب المسيح .
- ٦) الااضطهادات التى شنها الوثنيون ضد كلمة الله وضد الشهداء الاماجد .
- ٧) سير هؤلاء الشهداء وعلى الاخص الذين فى عصره .

روفيينوس اللاتينية التي قام بها سنة ٤٠٣ م والتي انتشرت من خلالها كتاب التاريخ الكنسي في الغرب كله.

### ٣- شهداء فلسطين<sup>(+)</sup> *Martyrs of Palestine*

لابد ان يوسبابيوس اصدر مجموعة من اعمال الشهداء القديمة قبل ان يكتب تاريخه الكنسي ، لأنه في الكتاب الرابع والخامس منه يشير عدة مرات الى هذه المجموعة ، بيد أن هذا العمل الشرين قد فقد ، وفي حديثه عن شهداء فلسطين في تاريخه الكنسي<sup>(١٣)</sup> يقول يوسبابيوس :

«ليس عملا هنا أن نكتب عن جهادات هؤلاء الذين جاهدوا في العالم كله من أجل محبة الله وتقواه ، ولا ان نسجل بالتفصيل كل اعمالهم ، لأن هذا العمل خاص بالذين شهدوا الاحداث بأنفسهم ، الا انى سوف اقدم – في عمل آخر – هؤلاء الذين تحدثت معهمانا شخصياً».

<sup>(+)</sup> ترجمه الى العربية العلامة المتنيق القمص مرقس دارد.

ولأن حياة يوسبابيوس نفسها كانت مليئة بالأحداث التاريخية الجليلة الامامية ، لذا اضطر ان يدخل الكثير من الاضافات على عمله الأصلي عدة مرات ، كى يظل عمله العظيم هذا شاملاً حتى ايامه هو ، وهكذا ظهر كتاب "التاريخ الكنسي" في أربع طبعات بحسب ما اثبت علماء الآباء .

وقد حقق كتاب "التاريخ الكنسي" نجاحاً عالياً وأعيد طبعه مرات عديدة حتى ان النص الحالى يعتمد على سبع مخطوطات يونانية يعود تاريخها الى الفترة ما بين القرن التاسع والقرن الحادى عشر :

– ثلاثة منها في مكتبة البلدية في باريس *Bibliotheque Nationale*

– إثنان في مكتبة *Laurentian* في فلورنس .<sup>(١٠)</sup>

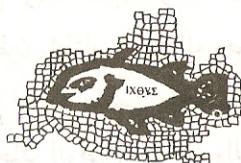
– واحدة في مكتبة القديس مرقس في قينيسيا .<sup>(١١)</sup>

– واحدة في موسكو .<sup>(١٢)</sup>

بالاضافة الى ذلك ، وصلتنا ثلاثة ترجمات ، أقدمهم وهي الترجمة السريانية يرجع تاريخها الى القرن الرابع ، وكانت اساس

اكاريل الاستشهاد فى قيصرية ، وعندما خلف مكسيمييان دقلديانوس فى الحكم ، ازدادت نيران الاضطهاد التهاباً ، اذ انه اصدر امراً عاماً بأن كل المواطنين يجب ان يذبحوا للالهة الوثنية ويأكلوا من هذه الذبائح ، وذكر يوسابيوس ان عدد الذين استشهدوا فى هذه البقعة الصغيرة من الامبراطورية اثناء الاضطهاد من سنة ٣٠٣ الى سنة ٣١١ هو ٨٣ شهيداً وشهيدة ، وأشهرهم هو الكاهن بامفيليوس استاذه وصديقه ، اما عدد المعترفين فكان ضخماً جداً لا يُحصى .<sup>(١٥)</sup>

† † †



وقد اوفي يوسابيوس بوعده هذا وقدم فى كتابه "شهداء فلسطين Martyrs of Palestine" وصفاً لمن رأهم بنفسه من هؤلاء الشهداء ، وقد وصلنا فى نسختين ، النسخة الاقصر فقط هي الموجودة باليونانية ، محفوظة فى اربع مخطوطات من "التاريخ الكنسى" <sup>(١٤)</sup> كملحق بالكتاب الثامن ، وقد كتبها يوسابيوس فى الغالب قبل الاصدار الاول من "التاريخ الكنسى" ، والنص الكامل للنسخة الاطول موجود فقط فى نسخة سريانية قديمة ، اذ لم يتبق من اصله اليونانى الا بضعة شذرات .

وابع اسقف قيصرية ترتيباً تاريخياً يغطي الفترة الكاملة للاضطهاد من سنة ٣٠٣ الى سنة ٣١١ ، وعلى اساس هذا العمل ، نستطيع ان نتعرف على الاضطهادات التي وقعت فى فلسطين وعلى شهدائها ، معرفة افضل من معرفتنا عن اي منطقة اخرى في الشرق في هذا المنحى ، وبهذا العمل نستطيع ان نفصل بين ضحايا دقلديانوس وضحايا جاليريوس ومكسيمييان ، وهذا امر مستحيل في المناطق الأخرى ، ويرى يوسابيوس انه في اثناء حكم دقلديانوس ، نالت مجموعة من ١٢ مسيحي

Εἰς Τὸν Βίον Τοῦ Μακαρίου Κωνσταντίνου  
Βασιλέως

ويتضح منه انه لا يقصد ان يقدم سيرة كاملة للإمبراطور بل يقتصر على عرض اعمال الامبراطور التي لها صلة بال المسيحية ، لذا اقترح العالم W. Telfer <sup>(١)</sup> مؤخراً أن يترجم العنوان اليوناني الى "تأملات في حياة قسطنطين Reflections in the . "Life of Constantine

ويرسم يوسابيوس صورة حية لقسطنطين «الذى كان وحده من بين كل القادة الرومان ، صديقاً لله - حاكم الكل - وقدم للبشرية كلها مثلاً واضحاً للحياة الصالحة» . <sup>(٢)</sup>

فهو "كتاب الجديد" خلص الشعب الجديـد المختار من الطغـاة ومن عبودية قيود الاعـداء <sup>(٣)</sup> ، ويـشبهـهـ يـوسـابـيوـسـ بـالـشـمـسـ «كـماـ انـ الشـمـسـ لـماـ تـشـرـقـ عـلـىـ الـأـرـضـ تـسـطـعـ اـشـعـتـهـ عـلـىـ الـجـمـيعـ بـسـخـاءـ ،ـ هـكـذـاـ كـانـ قـسـطـنـطـينـ عـنـدـمـاـ يـخـرـجـ مـنـ قـصـرـهـ الـمـلـكـيـ باـكـراـ جـداـ فـيـ النـجـرـ ،ـ وـيـشـرـقـ بـنـورـ سـمـاـوـيـ» . <sup>(٤)</sup>

## ٢- أعماله في مدح قسطنطين

ان يوسابيوس فى كتاباته عن الامبراطور قسطنطين الكبير هو مادح اكثـرـ مـنـهـ مـؤـرـخـ ،ـ وـوـضـعـ نـفـسـهـ وـقـلـمـهـ فـىـ خـدـمـةـ الـامـبـاطـورـ اـثنـاءـ حـيـاتـهـ وـحتـىـ بـعـدـ نـيـاحـتـهـ ،ـ إـذـ أـنـهـ كـانـ يـرىـ أـنـ حـكـمـ قـسـطـنـطـينـ هـوـ تـحـقـيقـ لـأـعـظـمـ رـجـاءـ مـسـيـحـىـ ،ـ وـالـامـبـاطـورـ بـالـنـسـبـةـ لـهـ هـوـ الرـسـولـ المـخـتـارـ الـمـسـلـ منـ قـبـلـ اللـهـ كـىـ يـنـقـذـ الـكـنـيـسـةـ مـنـ الـاضـطـهـادـ .

١) حـيـاةـ قـسـطـنـطـينـ (+) Vita Constantini يـقـعـ هـذـاـ عـلـمـ فـىـ أـرـبـعـةـ كـتـبـ ،ـ وـقـدـ أـنـتـقـدـ يـوسـابـيوـسـ بـسـبـبـ تـقـادـيـهـ فـىـ مـدـحـ قـسـطـنـطـينـ بـإـنـابـ ،ـ إـذـ أـنـهـ وـصـفـ حـكـمـ الـامـبـاطـورـ بـأـنـهـ صـورـةـ لـحـكـمـ اللـهـ اوـ ماـ يـسـمـىـ بـالـحـكـمـ الشـيـوـقـراـطـىـ ،ـ حـيـثـ يـصـيرـ الـامـبـاطـورـ هـوـ حـلـقـةـ الـوـصـلـ بـيـنـ اللـهـ وـالـعـالـمـ .

والعنوان اليوناني الاصلـىـ للـعـلـمـ هـوـ

+ تـرـجـمـهـ إـلـىـ الـعـرـبـيـةـ الـعـلـمـةـ الـمـتـنـيـعـ الـقـمـصـ مـرـقـسـ دـاـوـدـ .

جماعة القديسين" وتسميتها احدى المخطوطات بالكتاب الخامس من "حياة قسطنطين" وهي عبارة عن دفاع عن المسيحية :

المقدمة : (٢-١) تتضمن التحية وتشير الى يوم الالم الذى كان تمهيداً ليوم القيمة .

الجزء الأول : (١٠-٣) يتحدث عن الله الآب ، الحالى والرب الوحيد للكون ، ويفند أخطاء الوثنية ومفاهيمها الخاطئة وإيمانها الخرافى بالقدر والحظ ، كذلك يدحض تصورات الفلاسفة الخاطئة ، وحدد ما الذى يمكن ان يُقبل وما الذى يجب أن يُرفض ، ورفض أساطير وقصص الشعراء الخرافية .

الجزء الثانى : (١٥-١١) وهو اكثراً إيجابية ، يتناول عقيدة الفداء وصلب المسيح الذى هو الله وابن الله .

ثم يوضح (٢١-٢٦) ان الأنبياء فى العهد القديم قد تنبأوا عن مجيئ المسيح ، بل وحتى الأفكار الوثنية هى دليل على طبيعة المسيح الالهية .

الجزء الثالث : (٢٥-٢٢) ينسب فيه الامبراطور انتصاراته الى السيد المسيح ويصف النهاية المروعة التى نالها

ويقدم يوسابيوس وصفاً تفصيلياً<sup>(٥)</sup> لرؤية قسطنطين للصلب ، مؤكداً ان الامبراطور اكد له وأقسم بهذه الحقيقة ، وقد ضمن يوسابيوس فى عمله هذا ستة عشر امراً ورسالة امبراطورية تمثل ربع العمل كله وهى فى غاية الاهمية .

٢) الى جماعة القديسين *Ad Coetum Sanctorum* يذكر يوسابيوس فى كتابه "حياة قسطنطين"<sup>(٦)</sup> ان الامبراطور كان يقضى وقته فى الكتابة والخطابة ، التى تعرض فيها خطأ تعدد الالهة وأثبتت ان المعتقدات الخرافية التى يؤمن بها الوثنيون هى خدعة ، وأكمل على سلطان الله وحده وعلى تدبیر الخلاص وضرورته ، وعلى عقيدة الدينونة ، ويروى ابو التاريخ الكنسى ان الامبراطور كان يلقى خطبه باللغة اللاتينية ويقوم المترجمون بترجمتها فوراً الى اليونانية ، كما ذكر يوسابيوس انه سيقدم جزء من احدى احاديث قسطنطين وهو بعنوان " الى جماعة القديسين" موجه الى كنيسة الله .<sup>(٧)</sup>

والمخطوطات التى تحوى "حياة قسطنطين" تتضمن ملحق للكتاب الرابع وهو "كلمة الامبراطور قسطنطين التى وجهها الى

جماعة القديسين" وتسميتها احدى المخطوطات بالكتاب الخامس من "حياة قسطنطين" وهي عبارة عن دفاع عن المسيحية :

المقدمة : (٢-١) تتضمن التحية وتشير الى يوم الالم الذى كان تمهيداً ليوم القيمة .

الجزء الأول : (١٠-٣) يتحدث عن الله الآب ، الحالى والرب الوحيد للكون ، ويفند أخطاء الوثنية ومفاهيمها الخاطئة وإيمانها الخرافى بالقدر والحظ ، كذلك يدحض تصورات الفلسفه الخاطئة ، وحدد ما الذى يمكن ان يُقبل وما الذى يجب أن يُرفض ، ورفض أساطير وقصص الشعراء الخرافية .

الجزء الثانى : (١٥-١١) وهو اكثراً إيجابية ، يتناول عقيدة الفداء وصلب المسيح الذى هو الله وابن الله .

ثم يوضح (٢١-١٦) ان الأنبياء فى العهد القديم قد تنبأوا عن مجيئ المسيح ، بل وحتى الأفكار الوثنية هى دليل على طبيعة المسيح الالهية .

الجزء الثالث : (٢٥-٢٢) ينسب فيه الامبراطور انتصاراته الى السيد المسيح ويصف النهاية المروعة التي نالها

ويقدم يوسابيوس وصفاً تفصيلياً<sup>(٥)</sup> لرؤية قسطنطين للصلب ، مؤكداً ان الامبراطور اكد له وأقسم بهذه الحقيقة ، وقد ضمن يوسابيوس فى عمله هذا ستة عشر امراً ورسالة امبراطورية تمثل ربع العمل كله وهى فى غاية الاهمية .

٢) الى جماعة القديسين *Ad Coetum Sanctorum* يذكر يوسابيوس فى كتابه "حياة قسطنطين"<sup>(٦)</sup> ان الامبراطور كان يقضى وقته فى الكتابة والخطابة ، التى تعرض فيها خطأ تعدد الالهة وأثبتت ان المعتقدات الخرافية التى يؤمن بها الوثنيون هى خدع ، وأكذب على سلطان الله وحده وعلى تدبیر الخلاص وضرورته ، وعلى عقيدة الدينونة ، ويرى ابو التاريخ الكنسى ان الامبراطور كان يلقى خطبه باللغة اللاتينية ويقوم المترجمون بترجمتها فوراً الى اليونانية ، كما ذكر يوسابيوس انه سيقدم جزء من احدى احاديث قسطنطين وهو بعنوان " الى جماعة القديسين" موجه الى كنيسة الله .<sup>(٧)</sup>

والمخطوطات التى تحوى "حياة قسطنطين" تتضمن ملحق للكتاب الرابع وهو "كلمة الامبراطور قسطنطين التى وجهها الى

ويرى يوسابيوس ان الامبراطور هو ايقونة للقوة الحاكمة في السماء<sup>(٩)</sup> ، لأنه بوعي منه نظم وشكل حكومته على مثال الاصل السماوي الالهي .

وفى باقى الكلمة مدح يوسابيوس قسطنطين على اعماله وعلى البركات الناتجة عن الحرية التي اعطتها للكنيسة ، وفي الفصل الاخير يشير كرة اخرى الى خطبة قسطنطين : «احاديث ومفاهيم ونصائح للحياة الفاضلة المقدسة تعلن فى آذان كل الأمم ، الامبراطور نفسه يعلنها ، هي اعجوبة فعلاً ان هذا القوى ، يرفع صوته فى مسامع العالم كلة ، كمترجم لإرادة الحاكم الكى القدرة (الله) ويدعو شعبه فى كل بلد الى معرفة إلهه الحقيقي» .<sup>(١٠)</sup>

## ٢) الفصول من ١٨-١١ :

نجد فيها الرسالة التى قدمها يوسابيوس الى الامبراطور فى تكريس كنيسة القبر المقدس (٣٣٥م) ، ورغم انها بصفة عامة رسالة دفاعية ، الا ان هدفها الاول هو ان تبرر سبب تشييد البناء الرائع : «هذه الابنية العالية النبيلة ، افا هي اثار امبراطورية

الحكام الذين اضطهدوا الكنيسة ، وفي الفصل الأخير يؤكّد على ضرورة شكر المخلص الصالح على كل البركات التي منحها لامبراطوريته وله هو شخصياً .

**٣) مدح قسطنطين** *Laudes Constantini*  
نجد فى مخطوطات "حياة قسطنطين" بعد "الرسالة الى جماعة القديسين" ، كتاب "مدح قسطنطين" ، وهو يتضمن عمليات مختلفين :

## ١) الفصول من ١٠-١ :

تقدّم كلمة المدح التي القاها يوسابيوس في بلاط قسطنطين في ٢٥ يوليو سنة ٣٣٥ ، في الاحتفال بالعيد الثلاثين لتنصيب قسطنطين امبراطوراً ، وفيها يؤكّد اسقف قيصرية ان الامبراطور يختلف عن باقى البشر في أنه «كامل في الحكمة ، في الصلاح ، في العدل ، في الشجاعة ، في التقوى ، في التكريس لله ، فالامبراطور هو وحده فيلسوف حقاً ، لأنّه يعرف نفسه ، ولأنّه يعي تماماً أن هناك فيض من كل بركة قد سُكب عليه من مصدر خارج عنه تماماً ، من السماء نفسها» .<sup>(١١)</sup>

على روح امبراطورية ، تلك التي شيدتها في ذكرى قبر المخلص»  
ويهدف يوسابيوس في هذه الرسالة أن يوضح أهداف الامبراطور  
من الاهتمام بهذا العمل العظيم <sup>(١١)</sup> ، كما ويقدم سبيلاً أشمل ، اذ  
انه يرى في كنيسة القبر المقدس رمزاً لإرسالية الله للإمبراطور ،  
ويقدم يوسابيوس الإيمان المسيحي للقارئ الوثني ، وهذا التقديم  
ما هو الا ملخص للكتب الثلاثة الأولى من عمله "الشيفانيا  
. "Theophany



٣٦

### ١) مقدمة تمهيدية عامة General Elementary Introduction

يعد عمل يوسابيوس "مقدمة تمهيدية عامة" للإنجيل هو أقدم  
أعماله الدفاعية ، اذ كتبه قبل تجليسه اسقفاً لقيصرية ، ويكون  
هذا العمل من عشرة كتب لم يصلنا منها الا الكتب ٦ ، ٧ ، ٨ ،  
٩ ، بجانب بعض الشذرات ، وهي تحوى مجموعة من النبوات  
المسيانية في العهد القديم مع تفسير مختصر لها .

٢) الأعداد للإنجيل *Preparatio Evangelica*

تمثل المقدمة التمهيدية العامة دراسات أولية لعمل دفاعي أكبر يقع في جزئين :

١) الأعداد للإنجيل *Preparation for the Gospel*

٢) برهان الإنجليل *Proof for the Gospel*

ويقع الأول في ١٥ كتاباً موجودين كلهم في أصلهم اليوناني وهدفه هو تفنيد ودحض تعدد الآلهة الذي يقول به الوثنيون ، وأن يُظهر تفوق الديانة اليهودية والتي كانت "إعداد للإنجيل" ، واراد أسقف قيصرية أن يكون هذا العمل مدخل وتعليم أولي للمؤمنين الجدد من الوثنيين ، وفي بداية الكتاب الخامس عشر يقدم المؤلف ملخصاً للعمل كله .

الكتاب ٣-١ :

تناول اساطير الوثنين الفاحشة الغربية ، وتهاجم التفسير الرمزي الذي يقدمه الأفلاطونيون المحدثون لهذه الاساطير والخرافات .

الكتابان ٥-٤ :

يتناولان المعتقدات الوثنية في السحر والوحى .

الكتاب ٦ :

يعجب على هؤلاء الذين يؤمنون بالقدر .

الكتب ١٣-٧ :

يشمل مدخل الجزء الثاني الذي يتضمن الكتب السبعة التالية ، ويهدف الى ايضاح ان المسيحيين قد تبرروا بتركهم ديانة وفلسفة اليونانيين ويقول لهم لأسفار العبرانيين المقدسة ، ويشرح ان موسى وأنبياء العهد القديم عاشوا قبل اعظم فلاسفة اليونان بزمان طوبل وان هؤلاء الفلاسفة وخاصة أفلاطون استعاروا الكثير من الانبياء .

الكتابان ١٤ ، ١٥ :

يكشفان متناقضات المفكرين اليونانيين وتعارضهم مع بعضهم البعض وكذلك الاخطاء الأساسية في عقائدهم .

وفي بداية "الأعداد للإنجيل" يؤكد يوسابيوس على اصالة

المنهج الذى سيتبعه :

«الهدف الذى وضعناه فى اذهاننا هو ان يتم العمل بطريقة ومنهج خاص بنا» .<sup>(١)</sup>

القائلة ان المسيحيين قبلوا اليهود كى يدعوا لأنفسهم البركات الموعودة للشعب المختار بدون ان يقبلوا قوانين الشريعة والزماماتها .

ويجيب يوسابيوس على هذا الاتهام فى ٢٠ كتاباً لم يصلنا منها الا العشرة الأوائل ، وقدر معقول من المقططفات من الكتاب الخامس عشر ، وهى تكفى لتوضيح ان الكاتب فى "برهان الانجيل" ينتزع العهد القديم من اليهود ويثبت معناه المskونى وأن الديانة المسيحية هي كمال تحقيقه .

الكتابان ١ ، ٢ :

يثنان المقدمة ، ويشرح فيها يوسابيوس لماذا يقبل المسيحيون اسفار العهد القديم ويرفضون شريعة موسى ، ويقول ان الشريعة الموسوية كانت مجرد تدبیر يخدم كمرحلة انتقالية بين الآباء بطاركة العهد القديم وبين مجئ السيد له المجد .

وفى الكتاب الثانى ، يقدم المؤلف من الانبياء دليلاً كافياً قوياً على ان سقوط الامة اليهودية ومجئ الميسيا ودعوة الأمم قد سبقت النبوات واعلنت عنها سلفاً .

وفي تفنيده للوثنية ، يترك الوثنيين يتكلمون عن انفسهم ، فيقدم مقتطفات واستشهادات كثيرة وطويلة من كتاباتهم : «لن أقدم كلماتى ، بل كلمات هؤلاء الاشخاص عينهم ، الذين كان لهم اعمق اهتمام بعبادة هؤلاء الذين يدعونهم آلهة» .<sup>(٢)</sup>

ونجد فقرات كثيرة<sup>(٣)</sup> فى هذا العمل تدل على ان ضغط الاضطهاد قد توقف وان السلام قد حل عندما كتب يوسابيوس "الاعداد للانجيل" ، وتلميحه<sup>(٤)</sup> الى عقاب الدجالين والعرافين الانطاكيين<sup>(٥)</sup> بيد ليسينيוס *Licinius* يعرف منه ان تاريخ كتابة العمل كان بعد سنة ٣١٤ ميلادية .

٣) **برهان الانجيل** *Demostratio Evangelica*  
بينما يدافع "الاعداد للانجيل" عن المسيحية ضد الوثنية ، يجيب "برهان الانجيل" - كتكلمته للاعداد - على اتهامات اليهود

الكتب ٣ - ١٠ :

تقديم دليلاً نبوياً على ناسوت المسيح (كتاب ٣)  
وعلى لاهوته (ك ٤) وعلى تجسد المخلص وحياته على الأرض  
(ك ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩) ويتحدث الكتاب العاشر عن آلامه وموته .

الكتب ١١ - ٢٠ :

وهي الكتب المفقودة ، تتحدث في الغالب عن القيامة  
والصعود والعنصرة وتأسيس الكنيسة ، والأجزاء التي وصلتنا  
من الكتاب الخامس عشر تتناول الملك الأربع المذكورة في سفر  
данيل .

ورغم أن "الإعداد للإنجيل" و "برهان الانجيل" موجهان ضد  
الوثنيين واليهود ، إلا أن هدفهم الفعلى هو الرد على كتاب  
الفيلسوف بورفيري *Porphyry* "ضد المسيحيين" ، ويشير إليه  
يوسابيوس مراراً وتكراراً وفي نفس الوقت يأخذ من هذا الكتاب  
كلمات الإلتمامات الموجهة ضد المسيحية<sup>(٦)</sup> ، وهذا النهج في الرد  
يذكرنا بعمل اوريجانوس "ضد كلسوس" *Contra Celsum*  
ولكن يوسابيوس لا يناقش اتهامات بورفيري نقطة نقطة كما

الكتب ١ - ٣ :

تتحدث عن استعلان اللوغوس في خلق الكون وفي حفظه ،  
وتشرح الحاجة لل:redاء وتحقيق المسيح له .

**الكتاب ٤ :**

شرح تحقيق نبوات العهد القديم .

**الكتاب ٥ :**

يشرح حماقة الظن ان المسيح كان ساحراً وأن تلاميذه كانوا مخدعين .

والكتب الثلاثة الاولى تعتمد كثيراً على "الاعداد" وعلى "البرهان" ويبعد ان الكتاب الرابع هو اصدار جديد من دراسته عن النبوات التي تحققت في السيد المسيح والتي ذكرها يوسابيوس في كتابه "الاعداد" <sup>(٧)</sup> والكتاب الخامس هو الكتاب الثالث من "برهان الانجيل" كما اعلن المؤلف نفسه . <sup>(٨)</sup>

والمفهوم السائد في العمل كله عن الكنيسة المنتصرة المزدهرة يثبت انه كتب بعد سنة ٣٢٣م وبعد انفراط قسطنطين بالحكم .

وفيما عدا بضعة أجزاء ، لم يتبق شيء من الاصل اليوناني ، لكن العمل كله حفظ في ترجمة سريانية ، ولابد أن هذه الترجمة تمت في تاريخ مبكر اذ أن المتحف البريطاني في لندن لديه

مخطوطه لها بتاريخ فبراير سنة ٤١١م .

**٥) ضد بورفيرى Against Porphyry**

هاجم بورفيرى الفيلسوف الافلاطونى المحدث الشهير المسيحية هجوماً شرساً في خمسة عشر كتاباً بعنوان "ضد المسيحيين" فكتب ابو التاريخ الكنسى تفنيداً لهذا العمل في ٢٥ كتاباً فقدت جميعها ، وقد ذكر چيروم <sup>(٩)</sup> وسقراط <sup>(١٠)</sup> وفيلوستورجيوس <sup>(١١)</sup> Philostorgius المؤرخون هذا العمل ، وقدم چيروم <sup>(١٢)</sup> بعض تلميحات عن مضمونه ، ويبعد أن الرد كان يدور أساساً حول التفسير الصحيح لبعض اصحاحات الانجيل ، اذ ان بورفيرى ظن ان هناك اخطاء وتناقضات في الانجيل في نسب المسيح وفي احداث القيامة .

**٦) ضد هيروكلس Against Hierocles**

قبل كتابه "ضد بورفيرى" ، كتب يوسابيوس رداً على هيروكلس حاكم بشينية Bithynia الذي ألف عملاً يقول فيه ان ابولونيوس Apollonius of Tyana اعظم من السيد المسيح ، ونص هذا الكتاب الصغير محفوظ في احدى المخطوطات في

باريس<sup>(١٣)</sup> وهو أحد أعمال يوسابيوس الأولى ، وكتب في  
الغالب بين أعوام سنة ٣١١ وسنة ٣١٣ .

#### ٧) التفنيد والدفاع *Refutation & Defence*

يذكر فوتينوس<sup>(١٤)</sup> انه قرأ هذا العمل الذي يتكون من كتابين ، وانه كان موجوداً في أيامه في طبعتين ، ولكن كلاهما قد فقد ، ومن ملاحظات فوتينوس يتضح لنا انه دفاع يرد على الاعتراضات الوثنية على الإيمان المسيحي ، وهو يرى ان يوسابيوس اجاب على بعض الأسئلة والاتهامات «بطريقة كافية مقنعة وان لم تكن بطريقة كلية» .



٤٦

#### ٤- الاعمال الكتابية والتفسيرية

يستحق يوسابيوس مدح خاص على جهوده التي بذلها من أجل تقديم نسخة معتمدة من الكتاب المقدس ، فبمساعدة استاذه وصديقه بامفيليوس ، اعاد نشر طبعة اوريجانوس السبعينية (العمود الخامس من الهكسابلا أى السداسيات وهي عبارة عن انجيل من ٦ مخطوطات جمعهم اوريجانوس معاً) كعمل مستقل مع وضع قراءات بديلة مرادفة من نسخ اخرى في الهوامش ، وتاريخ نص العهد القديم والجديد يرتبط ارتباطاً وثيقاً بإسم يوسابيوس وصديقه بامفيليوس ، وهناك عدد غير قليل من مخطوطات الكتاب المقدس الموجودة لأن متسوحة من المخطوطات التي صنعاها ، وقد استجاب الامبراطور ليوسابيوس عندما احتاج خمسين نسخة من الكتاب المقدس لكتائس القسطنطينية ، فقد كتب يوسابيوس الى الامبراطور يطلب منه اعداد هذه النسخ ويشرح فيها انه طالما ان القسطنطينية المدينة العظيمة تزدهر وتنمو في كل شيء لذا يجب ان تزدهر فيها

٤٧

ويبدأ يوسابيوس بتقسيم الانجيل الى أقسام صغيرة رقمها بالترتيب ، ثم أعد قائمة تحوى عشرة قوانين ، ويتضمن كل قانون قائمة بمجموعة من الاصحاحات بالترتيب التالى :

- قانون ١ : الاصحاحات المشتركة في الانجيل الاربعة .
- قانون ٢ : الاصحاحات المشتركة بين انجيل متى ومرقس ولوقا .
- قانون ٣ : الاصحاحات المشتركة بين انجيل متى ولوقا ويوحنا .
- قانون ٤ : الاصحاحات المشتركة بين انجيل متى ومرقس ويوحنا .
- قانون ٥ : الاصحاحات المشتركة بين انجيل متى ولوقا .
- قانون ٦ : الاصحاحات المشتركة بين انجيل متى ومرقس .
- قانون ٧ : الاصحاحات المشتركة بين انجيل متى ويوحنا .
- قانون ٨ : الاصحاحات المشتركة بين انجيل لوقا ومرقس .
- قانون ٩ : الاصحاحات المشتركة بين انجيل لوقا ويوحنا .
- قانون ١٠ : الاصحاحات التي ينفرد بها كل انجيل : اولاً متى ثانياً مرقس ، ثالثاً لوقا ، رابعاً يوحنا .

وهذه القوانين تمكن القارئ من اكتشاف الاصحاحات المتشابهة بسهولة شديدة ، وقد تُرجم هذا العمل الى السريانية واللاتينية ،

الكنائس ايضاً وتزداد ، لذا سيحتاج الى خمسين نسخة من الكتاب المقدس ويرجو من الامبراطور ان يجعل نسخاً محترفين متخصصين يقومون بهذا العمل . <sup>(١)</sup>

ويعتبر يوسابيوس ان الكتاب المقدس شاهد أولى دقيق وأمين لإستعلان الله في التاريخ ولسر تدبیر مجسده اللوغوس .

**(١) القوانين الانجيلية** *The Evangelical Canons*  
 يقدم يوسابيوس ابتكاراً جديداً هاماً في مخطوطات الانجيل ، وهو وسيلة لإيضاح التوافق بين الانجيل ، وذلك بأن يوضح امام كل اصحاح الاصحاحات المرادفة له في الانجيل الآخر ، وفي رسالته الى كاريبيانوس *Carpianus* يشرح هذا النهج كله ، ويخبره ان فكرة هذا العمل جاءته من عمل امونيوس السكتندرى "توافق الانجيل" او "الاجزاء" *"Sections"* <sup>(٢)</sup> ، والذي يرتب فيه امونيوس الانجيل في اربعة اعمدة متوازية ، وقد طور يوسابيوس نظام امونيوس وعالج قصوره ، اذ لم يكن هذا النظام يسمح بقراءة أي إنجيل بترتيبه الأصلي عدا إنجيل متى .

وهذا المعجم الجغرافي الذى وصلنا هو فقط الجزء الرابع من عمل اكبر عن الجغرافيا الكتابية وضعه يوسابيوس استجابة لاقتراح بولينوس *Paulinus* اسقف صور ، ولما كان الأخير قد تنبىء عام ٣٣١ م اذاً لابد ان هذا العمل قد كُتب قبل ذلك التاريخ .

والأجزاء الثلاثة التى فقدت تقدم :

١) تفسير لأسماء الاسفار العبرية باليونانية .

٢) دراسة جغرافية للיהودية القديمة مع ميراث كل سبط .

٣) خريطة للיהودية والهيكل .

ويشير يوسابيوس الى هذه الاجراء الثلاثة فى مقدمة المعجم الجغرافي ، وكذلك يشير اليها چيروم فى مقدمة ترجمته اللاتينية .

٤) اسئلة ودراسات انجيلية *Gospel Questions and Studies*

يتكون هذا العمل من جزئين :

الأول : بعنوان "اسئلة عن الانجيل واجاباتها مرسلة الى اسطفانوس" وهو يقع فى كتابين .

وصار يعرف بإسم :  
القوانين اليوسابية *Eusebian Canons*  
او الاقسام اليوسابية *Eusebian Sections*  
وقد إقتبسه چيروم فى ترجمته اللاتينية للكتاب المقدس  
(الثولجاتا) وشرحه فى رسالة ارسلها للبابا داماسوس *Damasus*

## ٢) المعجم الجغرافي *Onomasticon*

وهذا العمل هو عبارة عن معجم جغرافي كتابى يقدم قائمة مرتبة ابجدياً بأسماء الاماكن الواردة فى الكتاب المقدس مع وصف جغرافي وتاريخي لكل مكان ووصف حالته ايام يوسابيوس ، وقد نال هذا العمل احتراماً عظيماً من دارسى الكتاب المقدس فى الشرق ، وكذلك نال شهرة كبيرة فى الغرب الذى عرفه من خلال ترجمة لاتينية قام بها القديس چيروم الذى اضاف بعض التصحيحات والاضافات .

والاصل اليونانى والترجمة اللاتينية موجودان كليهما ويعثان حتى اليوم اهم مصدر لدراسة جغرافية الأرض المقدسة .

وقد تُرجم هذا العمل مرتين إلى اللاتينية :  
**الأولى** : قام بها هيلاري اسقف بواتييه .  
**الثانية** : قام بها يوسابيوس اسقف فرساي *Vercelli* .

لكن الاخير حذف الصفحات التي تتضمن أفكاراً هرطوقية <sup>(٤)</sup> ومع انه لم يصلنا شيء من الترجمتين ، الا أن مقتطفات كثيرة من هذا العمل قد حفظت ، لذا من الممكن أن تُجمع وي تكون منها النص كله من جديد .

ويبدو ان هذا العمل كان اخر أعمال يوسابيوس رغم اننا لا نستطيع تحديد تاريخ معين له ، والمقتطفات التي وصلتنا تدل على ان العمل الكامل كان عملاً ضخماً .

#### <sup>(٥)</sup> تفسير اشعياء

يدرك القديس چيروم <sup>(٦)</sup> ان يوسابيوس كتب تفسيراً لسفر اشعياء في عشرة كتب ، بينما في مقدمة تفسيره هو (أي چيروم) لسفر اشعياء يذكر ان عمل يوسابيوس هذا يتكون من خمسة عشر كتاباً ، وعندما يشير اليه مرة اخرى <sup>(٧)</sup> ، يذكر ان

الثاني : بعنوان "استلة عن الانجيل واجباتها مرسلة الى مارينوس *Marinus*" ويقع في كتاب واحد .

ويناقش الكاتب في الجزء الاول التساؤلات الخاصة بميلاد وطفولة السيد المسيح له المجد ، بينما يناقش في الثاني التساؤلات الخاصة بقيامته المجيدة .

وقد فُقد الجزءان عدا بعض الشذرات اليونانية والسريانية ، وقد اكتشف ماي *Mai* <sup>(٢)</sup> ملخصاً لهذا العمل يقدم معلومات قيمة عن الاصل وعن محتوياته ، وهذا العمل بجملته يمثل مساهمة هامة في تطور علم النقد الكتابي .

#### <sup>(٤)</sup> تفسير المزامير

يبعد ان اهم اعمال يوسابيوس التفسيرية كان "تفسير المزامير" والذي نال شهرة كبيرة بين دارسي الآباء بسبب معرفة يوسابيوس و درايته الواسعة بالأبعاد النقدية في تفسيره .

المسيحي للزواج وبين حياة البطاركة الأوائل .. وقد فقد هذا العمل .

٧) عن الفصح Περὶ Τῆς Τοῦ Πάσχας Ἑορτῆς يخبرنا يوسابيوس فى كتابه "حياة قسطنطين" <sup>(٨)</sup> ان الامبراطور كتب اليه شخصياً رسالة "عن موضوع الفصح اقدس الاعياد" وان مناسبة ذلك كانت كتاب يوسابيوس "عن الفصح والذى اهداه لقسطنطين : «لأنى انا نفسي اهدى له شرحاً للاهمية السرية لهذا العيد» . <sup>(٩)</sup>

ومن هذه الكلمات يتضح لنا ان يوسابيوس قد شرحأ للمعنى الرمزى للفصح اليهودى وتحقيقه فى عيد الفصح المسيحي ، ورسالة الشكر التى ارسلها الامبراطور ليوسابيوس تدل على ان الجدال بخصوص الفصح قد نُوقش ايضاً فى عمل يوسابيوس .

وقد فقد هذا العمل كله ، ولم يصلنا منه الا جزء موجود فى مجموعة ميني Migne - الآباء اليونانيون ، وهو يتضمن ١٢

العنوان الذى وضعه يوسابيوس للعمل بعد تفسير تاريخى لكن يوسابيوس فى الغالب نسى ذلك وانتهى الى رمزية اوريجين ، ولم يصلنا الا مقتطفات من هذا العمل تثبت ان يوسابيوس : ١) اعتمد على اوريجانوس وقد ذكر تفسيره لأشعيا سبع مرات .

٢) اعتمد فى تفسيره على النسخة السبعينية الموجودة فى الهكسابلا (النسخة السادسية) التى اعدها اوريجانوس .

٦) تعدد الزوجات وأسر البطاركة الكبيرة فى كتابه "برهان الانجيل" <sup>(٧)</sup> يقول يوسابيوس : «اذا كان هناك اى سؤال عن عائلات ابراهيم ويعقوب ، فستجد مناقشة اطول فى الكتاب الأول الذى كتبته عن تعدد الزوجات والاسر الكبيرة لرجال الله القدماء » .

ويشير ايضاً الى هذا العمل فى كتابه "الاعداد للانجيل" ، والقديس باسيليوس الكبير فى كتابه عن الروح القدس يستشهد بفقرة من عمل يوسابيوس هذا ويسميه "تساؤلات بخصوص تعدد زوجات القدماء" ، ويقدم هذا العمل مقارنة بين المفهوم

## ٥- الاعمال العقائدية

من اعمال يوسابيوس ذات الصبغة العقائدية كتابه "الدفاع عن اوريجانوس" الذى اكمله يوسابيوس بعد استشهاد بامفيليوس ويخبرنا فوتبيوس<sup>(١)</sup> ان هذا الدفاع يتكون من «ستة كتب ، خمسة منها كتبها بامفيليوس عندما كان فى السجن ومعه يوسابيوس ، والسادس كتبه يوسابيوس بعد ان انتقل الشهيد - الذى قُتل بالسيف - الى الله الذى اشتاقت اليه نفسه» .

وهكذا كُتبت الكتب الخمسة الاولى بمساعدة يوسابيوس فى عام ٣٠٨ - ٣٠٩ ، وقد فقدت هذه الكتب عدا اولها الذى حفظه لنا روفينوس فى ترجمة لاتينية قام بها ، ولم يصلنا اى شيء من الكتاب السادس الذى هو عمل يوسابيوس .

(١) ضد مارسيللوس *Contra Marcellum*

فى العام الاخير من حياته ، كتب ابو التاريخ الكنسى دفاعاً عن الموقف الاريосى فى كتابين ضد مارسيللوس اسقف انقرة

فصلأً مخصصين لمناقشة طبيعة العيد فى العهد القديم وطبيعته ومفهومه فى العهد الجديد ، وكذا مناقشة القرار الذى اتخذه مجمع نيقية المسكونى بخصوص الجدال حول الفصح والاسباب التى تجعلنا لا نحتفل بالقيامة فى تاريخ الفصح اليهودى ، وفي الفصل الرابع يقدم يوسابيوس شهادة رائعة لذبيحة موسى المقدسة كفصح التدبير الجديد .. وتاريخ كتابة هذا العمل هو بالتأكيد بعد انعقاد مجمع نيقية وفى الغالب قبل عام ٣٣٥ م .



## ٧- الرسائل

لابد ان عدد الرسائل التي خطها اسقف قيصرية كان كبيراً ، بسبب دوره الكبير في المجالات الدائرة في ايامه ، ومع ذلك فقدت تقريباً كل رسائله .

ولم يصلنا من رسائله الا ثلاثة كاملة :  
رسالة الاداء الى فلاكسيلوس *Flaccillus* في بداية كتابه "اللاهوت الكنسي" .  
رسالة الى كاربيانوس *Carpianus* وهي نوع من المقدمة لعمله "القوانين الانجيلية" .

رسالة الى شعب ايبارشيته - قيصرية - عن نتائج مجمع نيقية .

وقد الحق القديس اثناسيوس الرسولي رسالة يوسابيوس الثالثة هذه في دفاعه عن قانون اليمان النيقاوى والذى كتبه نحو عام ٣٥٠ م ، ولابد ان المؤرخين : سقراط <sup>(١)</sup> وثيودورت <sup>(٢)</sup>

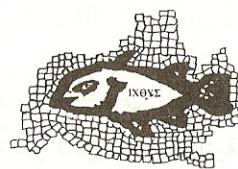
يوسابيوس هو الذى القى كلمة الترحيب لأن موقفه كان موضع شك ، ومن الصعب التصديق ان اباء نيقية اختاروه لهذا العمل الكريم ، وقد تبأنت آراء العلماء والمؤرخين في هذا الصدد . <sup>(٤)</sup>

ليس هناك الا معلومات قليلة جداً عن اى عظات اخرى القاها يوسابيوس ، وفي تاريخه الكنسى <sup>(٥)</sup> ، يقدم النص الكامل للكلمة التي القاها في تدشين بازيليكا صور نحو سنة ٣١٦ م ، وكان موضوعها الاساسى هو القيامة ، فانتصار المسيحية الحديث وإعادة بناء الكاتدرائية وتشييد العمودية هي كلها - في رأى يوسابيوس - رموز للقيامة والمجد العتيد في سماء عروس المسيح الكنيسة .

وفي مخطوطة لندن المؤرخة بتاريخ فبراير سنة ٤١١ <sup>(٦)</sup> ، والتي تحوى النسخة السريانية لـ "الثيوفانيا" ، والطبعه الثانية لكتابه "شهداء فلسطين" ، تجد بعد ذلك مدح لشهداء انطاكيه ، وهو في الغالب عظة القاها يوسابيوس في عيد الابطال المكافحين لأنها تتضمن مدح للألم وأولادها السبعة الذين عذبوا حتى الموت والافتراض انهم دُفِنوا في انطاكيه .

وجلاسيوس<sup>(٣)</sup> قد نسخوها من اثناسيوس ... وفيها يبلغ يوسابيوس شعب كنيسته بما حذر في المجتمع ويحاول ان يبرر سلوكه وتصرفه وخاصة قبوله لصيغة "هومواوسيوس" *"Homoousios"* (مساوي في الجوهر) لئلا يأخذوا انطباعاً خاطئاً من الاشاعات والاقاويل ، ثم يقدم ورقة طويلة يقول انهقرأها في احدى جلسات المجمع في حضرة الامبراطور ، ثم يختتم رسالته بقوله انه ، اخيراً وبعد فحص دقيق ، وقع على كلمات القانون الجديد ... اما عن رسائل يوسابيوس الأخرى فلم يصلنا منها الا شذرات .

- الكتاب : العلامة يوسابيوس القيسري .
- ترجمة وإعداد : أنطون فهمي چورج .
- الناشر : كنيسة مار مارقس والبابا بطرس - الاسكندرية .
- جمع تصويرى : كوبن سنتر - الأزاريطة - الاسكندرية .
- الطبعة : الاولى - ١٩٩٢ .
- المطبعة : الأنبا رويس (الأوپت) - العباسية - القاهرة .
- رقم الإبداع : ٤٦٢٦ / ٩٢ .
- I.S.B.N. 977 - 00 - 3411 - 8 .



## الفهرس

٣	مقدمة
٦	العلامة يوسابيوس
١١	الملامح اللاهوتية والروحية في فكر العلامة يوسابيوس
١٥	كتابات يوسابيوس
١٦	١) الاعمال التاريخية
٣٠	٢) اعماله في مدح قسطنطين
٣٧	٣) الاعمال الدفاعية
٤٧	٤) الاعمال الكتابية والتفسيرية
٥٧	٥) الاعمال العقائدية
٥٩	٦) العظات
٦١	٧) الرسائل